من صدى التلبية إلى رؤية 2030

محمد علي الشيخ

تعيدك محافظة خليص بالقوة إلى نهارها ، تنتزعك نزعا من (رقدة) في حضن ليل يتنفس الأحلام والسفر والغواية وحساب العمر – لتفيق على حاضر استعار من الإشراق وسامته ، واستعاد من المساء ذاكرة صباحه ؛ كأنما صهر الأزمنة في خلق واحد – من صدى التلبية ، والتكبير ، وحديث النبي ، وتلويحة قوافل الحجاج ، والركب المكي – إلى صيحة النصر : " الملك لله ثم لعبدالعزيز بن عبدالرحمن " في (الرياض) إلى يوم الخميس ٢١ جمادى الأولى ١٣٥١ هجرية = إعلان توحيد المملكة العربية السعودية ، إلى رؤية 2030 ...

هذه السردية لاتشبه مثيلاتها في التاريخ ؛ لأنها جمعت بين رمزيتين = المقدس والشخصي ؛ كأنما هي امتداد لتطبيقات راشدة في نظم الحكم ؛ فهي تعطي أولوية لخدمة الحرمين الشريفين ، وهي تدين بتأسيسها وتوحيدها ونهضتها لأسرة واحدة في خط زمني رأسي من (الدرعية) حتى (الرياض) وتبقي الزمن مفتوحا على الرؤى المتحققة والمستقبلية .

..... لا أدري كيف – حتى وأنا منغمس في ذاكرة المكان والناس – تمكنت مني الغفلة الذهنية ؛ رغم أني أتحرى هلال ليلة الوطن ، وألمس بعض إرهاصات الإستعدادات ليوم عظيم ؛ كأن بعض قوم مؤمنين استشعروا ليلة القدر ؛ فتطهروا ، وتجللوا بالبياض ، واستعادوا سيرة السلف الصالح !!! ربما لأنني على تماس مع تاريخ الدولة السعودية بحكم تخصصي – وشغف استقصاء لمظانه عربية واجنبية – فملأ حضوره فراغات مادونه من الإهتمامات ، واستقام نصا ، بمتنه وهوامشه ، كشعيرة دينية ...

وأحسب أن كثيرين غيري قصر بهم التصور ؛ ليس عن اتساع الفرحة ؛ بل هذا العمق في فهم دلالتها وتجلياتها.

يدهشك أن السعوديين لم ينأوا عن ماضيهم رغم سطوة الحاضر وفتنته . تحتفظ الغالبية منهم بموروثهم من اللباس وأصناف الطعام ، وفنون الزينة والرقص والأهازيج . والأجمل هو سرعة استجابة الأطفال مع المناسبة ، فترى الطفل/ الطفلة مع أمها وجدتها في إيقاع غلاب وآسر ؛ كأنها تلقت دورة في العرضة ولعبة السيف . يبدو أن للوطن (معاني) جهلتها المعرفات ؛ وقد قالوا كثيرا وما غووا ملائكة الكلام !!!؟

سيبقى هذا اليوم تنشيطا للذاكرة التاريخية ، وتخليدا لعبقرية من فكر به ... وقراءة تتجدد كل سنة ...

محمد علي الشيخ